من رحاب البيت

ألقيت في الحفل السنوي الذي أقامه جلالة الملك فيصل بن عبد العزيز تكريماً لحجاج بيت الله الحرام بمنى في ١٣٩٠/١٢/١١ هـ .

شعاعٌ من البيت العتيق مساربُهْ
أضاءَتْ به الدنيا وعَمَّتْ مواهبُهْ
وكانت رحاب البيت مبعثَ فجره
ومنهل ورد الخير تصفو مشاربه
وفي فلق الصبح الذي فَرَع الدّجى
منار تسامت في البرايا عجائبُهْ
وقد أنبأت رهبان (بصرى) [١] بسره
وإن أمين الله في الأرض صاحبُهْ
هو الدين بالوحي المبين متوّج
وبالشرعة السمحاءِ جاءَت مناقبه
ونادى به المختار من خير بقعة
وسارت على اسم الله تسعى مواكبه

---

(١) إشارة إلى خبر بحيرا الراهب .

يمد يـد الإصلاح وهـي كـريمـة
فيرقى بها في سلَّم المجد خاطبه
وقد هذَّب الأفكار من داءِ جهلها
ففاضت من الفكر العميق مواهبه

* * *

وفي هجرة (المختار) هـدي ودافع
تجلَّتْ بأسمى التضحيات مطالبه
سرى في ظلام الليل من بين عصبة[1]
وكانت عنايات الإله تواكبه
وسار بحفظ الله في هدأة الدجى
إلى (غَارِ ثَوْرٍ) والأعادي تراقبه
ولكن صنع المعجزات أحالهم
كصرعى جراح لامستها قواضبه
وقد خبطوها خبط عشواءَ هرّعاً
فندَّ بهم في مهيع الدَّرب ساربه

* * *

وفضلٌ له (الصدّيقُ) أسبقُ نائلٍ
إذا قيس بالأقران زادتْ مناقبه

---

(١) أجمعت قريش في دار الندوة واستقر رأيهم على قتل رسول الله ﷺ ووقفوا على باب بيته ﷺ يرقبونه حتى يخرج ليقتلوه فأخبره جبريل عليه السلام بهذه المكيدة: فأمر رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب أن ينام في فراشه تغريراً بهم. ثم خرج رسول الله ﷺ من بينهم ولم يشعروا به وقد حثا على رؤوسهم التراب ثم انطلق إلى حيث أراد.

تخلّى عن الأموال والأهل رغبة
وهانت بما يلقى عليه متاعبه
وسار مع المختار أيّان يمّمت
مقاصده كانت إليها رغائبه
فلما تسامى في مشارف (يثرب)
رسول الهدى ضاءَت عليها كواكبه
ونادى منادي الحق في (طيبة) الهدى
فهبَّت له الأصداءُ منها تجاوبه
وقد شاد للإسلام أركان مجده
وضمَّ شتات الشمل فاعتزّ جانبه
ولاحت بأعلام الفتوح ملامح
فأهدت عبير النشر منها أطايبه

* * *

ومن ناوأ الإسلام واجتاحه الهوى
فإن الجُراز العضب عدل مضاربه[1]
وما مقصد الإسلام أن يهلك الورى
ولا أن يرى جرحاً تنزُّ مثاعبه

---

(١) جاء الإسلام برسالة الله الخالدة . ولم يأت لإبادة الحرث والنسل في عمليات الجهاد كما يصمه بها أعداؤه وإنما لنشر الدعوة وإيصالها إلى الناس كافة إلا أنه تكفل بحماية هذه الدعوة فشرع الجهاد لتأديب من يعارض دعوة الإسلام أو يعتدي عليها أو يعرقل سيرها كما شرع الجهاد بغية إقامة سلطان الله في الأرض .

وفي موطن (الإسراءِ) قد عاثت العدا
وزادت على مرّ السنين مصائبه
تنادي ربوع (القدس) أبناءَ أُمّة
وتشكو احتلالاً قد توالت مثالبه
يلوك بأنياب الشراسة صيده
وتبطش بالأشلاءِ عسفاً مخالبه
تظل الأيامى تتقي بأكفِّها
وتسكب دمعاً ساح في الأرض ساكبه
فلا العالم الغربيُّ ثابَ لرشده
ولا العالم الشرقيُّ طابت مآربه
تقمّصت الأعداءُ في ثوبِ خدعةٍ
ويكفيك من درس الزمان متاعبه
ومؤتمرات العدل ضجَّ لها الورى
فهل يستوي المسلوبُ حقاً وسالبه؟
أرى العدل في الإيمان في الموقف الذي
تحدَّى جباه الكفر تسمو مراتبه
أرى العدل في الإيمان، في عزم أُمّةٍ
على أن ينال الحق بالعدل صاحبه
فما منطق التحرير شعراً منمّقاً
ولا قول أفّاك تحذلق كاتبه

وما منطق التحرير شكاً وريبةً
ولكنه زحفٌ توالت كتائبه

* * *

متى انعدم الإيمان من قلب أُمة
ذوى مجدها وانهار في الأرض جانبه
ومن عقد الإيمان عزماً ومنهجاً
أتته الدنى طوعاً ولا شيء غالبه
فيا أُمة الإسلام هبّي لنجدةٍ
فما ضاع حقٌّ جرّد السيف طالبه
وضمي شتات المسلمين تضامناً
فإن احتدام الخطب هوج غياهبه

* * *

مشاكلُ تترى والزمان يلفها
ويقذفها في لجة الهول راكبه
(فكشمير) ما زالت تجود بنفسها
ويجتاحها بغي توالت مضاربه
وبالأمس كانت (زنجبار) مجازراً
يغار لها من شامخ الأُفق غاربه
وكم إخوة في الدين عاث بهم ردى
ومستنجد في الله عزّ مجاوبه

فيـا قـادة الإسـلام داووا جـراحـه
وكـونـوا لـه رِدْءاً تهـاب جـوانبـه
ويا (فيصل) الإسـلام أحكم شباكهـا
وجـرّد لهـا عضبـاً تـوقّـد لاهبـه
ومن لازم الإقـدام في ساحـة الوغى
تنـاهـت إلى المجـد الـرفيـع تجـاربـه
وشبَّت عـلى حب المعـالي فعـالـه
وكـان له من منـطق القـول صـائبـه
وَمَنْ كان منْ (عبد العـزيز) ائتـلاقه
تسـامت بفعـل المكـرمـات مـواهبـه
فـدمت مناراً في ذرى المجـد شـامخـاً
تحـوط العُـلى شهـمًا تسـامت مـراتبـه